أثر العربية في الألفاظ المعربة

د. حسن محمد تقي سعيد

ينجم عن التجاور المكاني والتوافق الزماني بين لغتين أو أكثر حدوث احتكاك لغوي بينهما يتمخض عنه صراع بين اللغتين أو اللغات ويسفر عنه عادة نتيجتان أساسيتان هما تغلب إحدى اللغتين على الأخرى واضمحلال الثانية وذوبانها بالتدريج في اللغة الأقوى، أوبقاء اللغتين في صراع مستمر من دون أن تتغلب إحداهما على الأخرى . وفي كلا الحالتين لابد من انتقال المفردات بين اللغتين بغض النظر عن نسبة ذلك في كل منها.

ولا تختلف اللغة العربية عن غيرها من اللغات في ذلك فقد تصارعت لغويا مع عدد كبير من اللغات سواء أكان ذلك بحكم التجاور الجغرافي أمثال ما حدث بينها وبين اللغات الفارسية والتركية والآكادية والسريانية والحبشية وغيرها، أم بحكم تغلغل نفوذ العربية وبسط سيطرتها على مساحة كبيرة من العالم. وهذا ما أدى بها إلى الاحتكاك اللغوي مع لغات عدة أخرى، أمثال لغات شمال إفريقيا واللغة الفرنسية والإسبانية والإيطالية والبرتغالية وغيرها.

ونتج عن كل هذه الصراعات اقتراض مفردات من العربية وانتقال مفردات عديدة إليها. ويسمي اللغويون هذا الانتقال في المفردات إلى العربية بالتعريب.

وسيحاول هذا البحث دراسة المفردات المعربة لمعرفة الأثر الذي أحدثته العربية في هذه المفردات سواء أكان في الأصوات أم البناء أم الدلالة.

أولاً: أثر العربية في الأصوات:

لاحظ اللغويون العرب القدماء ماتحدثه اللغة العربية في أصوات الألفاظ المعربة. ودرسوا هذا الموضوع بعناية بالغة، وتوصلوا فيه إلى أن الإبدال يحدث غالبا في الحروف التي لايوجد.نظير لها في العربية. وقد يشمل أيضاً الحروف التي يوجد ما يماثلها فيها.

فقد قال سيبويه في باب ما أعرب من الأعجمية "إن العرب مما يغيرون من الحروف الأعجمية ما ليس من حروفهم ألبتة "(1).وتحدث عن طريقة تعريب الأصوات الأعجمية فذكر أنهم "يلحقون الحروف بالحروف العربية"(2). وأضاف أيضا "وربما غيروا الحرف الذي ليس من حروفهم"(3).و"أن الإبدال عند العرب مطرد في كل حرف ليس من حروفهم يبدل منه ما قرب منه من الحروف الأعجمية "(4).

واللغويون الذين جاءوا بعد سيبويه لايكادون يختلفون عنه في هذه الناحية. ولعل ماقالوه يعد صدى لآرائه، من ذلك ما ذكره الجواليقي بقوله "إن العرب كثيراً ما يجترئون على تغيير الأسماء الأعجمية إذا استعملوها فيبدلون الحروف التي ليست من حروفهم إلى أقربها مخرجا، وربما أبدلوا مابعد مخرجه أيضاً والإبدال لازم لئلا يدخلوا في كلامهم ما ليس من حروفهم"(5).

ولعل الإضافة الوحيدة التي جاء بها الجواليقي هي

النص على أن الإبدال في أصوات الحروف الأعجمية التي لا يماثلها أصوات عربية لازم. ولو أن هذا المعنى يفهم من خلال كلام سيبويه السابق أيضاً وإن لم ينص عليه صراحة.

أما الخفاجي فلا يختلف بشيء عن سابقيه في هذا الموضوع فقد ذكر "أن العرب يبدلون الحروف التي ليست من حروفهم إلى أقربها مخرجا وربما أبعدوا الإبدال في مثل هذه الحروف وهو لازم لئلا يدخل في كلامهم ما ليس منه"(6).

ونستنتج من أقوال اللغويين في إبدال الأصوات الأعجمية ما يأتي:

1 - إن إبدال الحروف التي لايوجد لها نظير في العربية واجب في الألفاظ المعربة.

2 - يبدل الحرف الأعجمي بآخر عربي أقرب من غيره إليه من حيث المخرج غالبا.

3 - لم يكن مراعاة القرب المخرجي مطرداً في كل الحروف، لأن العرب أجازوا الإبدال بين الأصوات المتباعدة المخارج.

4 - لم يلحظ اللغويون العرب في الإبدال التقارب في صفات الحروف ولعلهم قد غفلوا عن هذه الناحية وهذا ماسنناقشه فيما بعد.

وبناء على ما تقدم غيّر العرب الحروف التي بين "الجيم والكاف وربما جعلوه جيماً وربما جعلوه كافاً وربما جعلوه قافاً لقرب القاف من الكاف... وأبدلوا الحرف الذي بين الباء والفاء فاءً وربما أبدلوه باءً"(7) وهذا الشيء نفسه فعلوه في حروف (V، الڤاء) وغيرها.

أما التغيير الذي حدث في أصوات الحروف التي يوجد نظير لها في العربية فهو أمثال التغيير الذي حدث في حرف الشين في الكلمة الفارسية (دشت) التي تعني الصحراء إلى سين فعربوها إلى (دست)(8).أو في قلبهم الظاء طاء كما صرح بذلك الأصمعي في قوله إن "العرب تجعل الظاء طاء ألا تراهم قالوا ناظور أي ينظر"(9). إلى غير ذلك من الحروف الكثيرة التي غيرها العرب في أثناء التعريب.

وقد قسم بعض اللغويين الإبدال في الحروف عند التعريب إلى قسمين بعد ملاحظة إطراده أو عدمه. وهما:

1 - إبدال مطرد وهو الحاصل في الحروف التي لايوجد لها ما يماثلها في العربية فقد ذكر السيوطي أن "البدل المطرد هو في كل حرف ليس من حروفهم كقولهم كربج، الكاف فيه بدل من حرف بين الكاف والجيم فأبدلوا فيه الكاف، أو القاف نحو قربق، أو الجيم نحو جورب، وكذلك فرند هو بين الباء والفاء فمرة تبدل منها الباء ومرة تبدل منها الفاء"(10).

وإذا كان العرب القدماء قد جعلوا إبدال الحروف الأعجمية مطرداً عند التعريب فإنهم لم يعيّنوا حرفاً واحداً لكل صوت معرب وإنما جعلوا له أكثر من صوت ومن دون أن يضعوا لنا قاعدة واضحة نسترشد بها في عملنا الحاضر في التعريب.

وإن عدم تحديد الصوت المقابل للأعجمي بدقة لم يقتصر على تعريب المفردات الفارسية وإنما يشمل كل اللغات التي عربت فيها مفردات تحوي حروفا غريبة عن اللسان العربي. ولعل من الأمثلة المناسبة في ذلك ما حدث في الألفاظ اليونانية، فالحرف "(chi) اليوناني الذي يلفظه المعاصرون كالخاء أو بما يشبه الشين على حسب موقعه

يتحول في لغتنا إلى شين (ابرشية، برطشيل، شدياق)، أوخاء (أخيون، خلقين، ملوخية)، أو هاء (درهم)، أو كاف (إسكيم، كندر)... أو قاف (انقليس، قلمون). أما حرف (kapp) الملفوظ كالكاف فكثيراً ما يصير قافاً كما نرى في فندق، قانون، قروميد، قلقاس...قنديل، أسقف"(11).

2 – إبدال غير مطرد وهو الحاصل في الحروف التي لها نظير في العربية فقد يبدل الحرف في كلمة ولايغير في أخرى، وقد تحدث عنه السيوطي بقوله "وأما ما لا يطرد فيه الإبدال فكل حرف وافق الحروف العربية كقولهم إسماعيل أبدلوا السين من الشين والعين من الهمزة وأصله اشمائيل... وذكر أبوحاتم أن الحاء في الحُب بدل من الخاء وأصله في الفارسية خب "(12).

وكذلك الإبدال الحاصل في حرفي الراء واللام وغيرهما بين العربية والأكدية مثل بصل العربية وبصرو الأكدية (13) إلى غير ذلك من الإبدال.

ومن الأدلة التي تؤكد عدم إطراد نقل الأصوات بين اللغات الأعجمية والعربية تلك الدراسة التي قام بها إبراهيم مراد المتضمنة معرفة التغيير الصوتي الحادث في الألفاظ الأعجمية ومقارنته في جهود ثلاثة علماء مغاربة. ولو أخذنا مثالا واحدا منها لعرفنا مدى الاختلاف الحاصل في نقل أصوات الحروف بينهم، فقد جمع المؤلف 45 كلمة ورد فيه حرف السين وأن مجموع ما ذكر فيها 51 مرة "وقد ورد بالتوالي 17 مرة عند ابن الجزار و 16 مرة عند الإدريسي و 18 مرة عند ابن البيطار. وقد نقله الثلاثة بالطرق التالية:

ا – ابن الجزار فقد نقله ثماني مرات كافاً أي بنسبة 47.06 % وست مرات قافاً أي بنسبة 35.29 % وثلاث مرات جيما أي بنسبة 17.65 %.

ب – الإدريسي فقد نقله أربع مرات سيناً أي بنسبة 25 % وأربع مرات قافاً أي بنسبة 25 % ومرتين جيماً أي بنسبة 12.50 % ومرتين خاءً أي بنسبة 12.50 % ومرتين شيناً أي بنسبة 12.50 % ومرتين كافاً أي بنسبة 12.50 %.

ج – ابن البيطار فقد نقله ثماني مرات قافاً أي بنسبة 44.44 % وثلاث مرات خاءً أي بنسبة 16.67 % وثلاث مرات فاءً أي بنسبة 16.17 % وثلاث مرات كافاً أي بنسبة 16.67%ومرة واحدة جيماً أي بنسبة 5.55 %"(14).

وتكفي قراءة سريعة لهذا المثال – على فرض دقته العلمية – لمعرفة مدى عدم إطراد نقل صوت السين من اللغات الأعجمية إلى العربية وعدم تحديد صوت واحد له. كما يلاحظ الاختلاف في نقل الصوت عند أحد العلماء فضلا عنه عند الآخرين. وهذا ما يثير سؤالاً ملحا وهو لماذا هذا الاختلاف في نقل الأصوات في المفردات الأعجمية عند تعريبها؟ ويضاف إليه سؤال آخر مؤداه ما سرّ عدم وضع صوت عربي واحد عند نقل الصوت الأعجمي الذي لايوجد له نظير في العربية؟.

وسوف نحاول أن نجيب عن هذين السؤالين فيما يأتي:

أسباب اختلاف إبدال الحروف في الألفاظ المعربة:

هناك أسباب عديدة وراء ما يلاحظ من اختلاف في نقل أصوات الكلمات الأعجمية عند تعريبها ويمكن إجمالها في نقاط رئيسية هي طبيعة الصوت المعرب وصفاته ومكان خروجه ودلالة الألفاظ المعربة وزمن استخدامها، وطريقة النقل من اللغات مباشرة أو بالواسطة وأخيراً

كيفية نقل الأصوات سواء أكانت ملفوظة أم مكتوبة.

وسنحاول فيما يأتي إضاءة هذه النقاط بشيء من التفصيل والتدليل :

1 - إن طبيعة الصوت الأعجمي قد تساعد على تعريبه بأكثر من حرف وبخاصة في الأصوات التي لايوجد لها نظير في العربية؛ لأنها تخرج من منطقة لايخرج منها صوت عربي؛ فاضطر المعرّب له إلى أن يفتش عن أقرب الأصوات إليه من حيث المخرج والصفات.

وقد فطن اللغويون العرب إلى أهمية القرب المخرجي في التعريب وجعلوه العامل الوحيد عند اختيار الصوت العربي الذي يبدل من الصوت الأعجمي (15). لكنهم لم يفطنوا إلى دور صفات الحروف عند الإبدال. ولو حاولنا مقارنة صفات الحروف التي حدث الإبدال فيها لعرفنا مدى دورها في هذه العملية الصوتية. فالصوت الذي بين " الجيم والكاف ربما جعلوه جيما وربما جعلوه كافاً وربما جعلوه قافاً لقرب الكاف من القاف"(16).

فصوت (الكَاف) يخرج من أقصى الحنك وبذلك يكون بين مخرجي (الكاف) و(القاف) فأدنى منه قليلاً مخرج الكاف وأبعد منه قليلاً مخرج القاف فالعربي الذي عرب كلمة (كَربج) مثلاً، إن اختار بدل (الكَاف) حرفا أبعد منه مخرجا كان حرف القاف فعربها (قربج) وإن كان أدنى منه مخرجا كان الكاف فعربها (كَربج).

أما إذا نظر المعرّب إلى صفات الحرف الأعجمي واختار مايقاربه في ذلك - مع ملاحظة عدم البعد المخرجي - أبدله بصوت الجيم. لأنه يتفق مع (الكَاف) في صفتي الشدة (الإنفجار) والجهر في حين أن صوتي القاف والكاف يختلفان عن (الكَاف) في صفة الهمس.

وقد ذهب بعض المحدثين إلى أن العرب أبدلوا من هذا الصوت صوت الجيم (التي ينطق بها سكان القاهرة وبعض المدن العربية) أي (G)(17) ولاأراهم على حق في ذلك وذلك لأن صوت (G) يماثل تماماً صوت (الكَاف) والإبدال يقتضي اختيار صوت مخالف. ولما كان العرب القدماء قد ذكروا أنهم أبدلوه إلى صوت الجيم فهذا يعني أنهم أبدلوه إلى صوت مغاير له فلا يكون إلا الجيم القرشية التي ينطق بها سكان العراق وبعض الدول العربية الأخرى لا الجيم القاهرية.

ولو لاحظنا عملية الإبدال في أصوات أخرى كالإبدال الذي أحدثه العرب في صوت (الپاء P) الأعجمي إلى (الباء) مرة و(الفاء) أخرى فالأصوات الثلاثة تخرج من منطقة الشفة وأنها تتفق في صفة وتختلف في أخرى (فالپاء) تتفق مع (الباء) في صفة الشدة (الانفجار) وتختلف عنها في الجهر والهمس لأن (الپاء) مهموس و(الباء) مجهور ويتفق حرف الباء مع الفاء في صفة الهمس ويختلف عنه في صفة أخرى (فالپاء) شديد (انفجاري) والفاء رخو (احتكاكي).

2 - إن الأصوات الأعجمية التي عربها العرب لم تكن مأخوذة من لغة واحدة فهناك أصوات متشابهة في أكثر من لغة أعجمية عُرِّبت بعض أصواتها من ذلك "أن العرب أبدلت الخاء من الكاف في الألفاظ الفارسية برزخ كامخ فرسخ ولكنها أبدلت القاف من الكاف في الألفاظ اليونانية بطريق قلم إقليم وهذا يعني أن الأذن العربية لحظت فرقاً واضحاً بين الكاف الفارسية والكاف اليونانية"(18) بل لعل الحرف لم يكن كافاً وإنما كان شبيهاً به في كل من اللغتين بدليل أن العرب لم تبدله إلى

الكاف وإنما أبدلته إلى حرف آخر فوجد المعرّب للألفاظ الفارسية أن هذا الصوت أقرب إلى الخاء فأبدله إليه، ووجد المعرّب للكلمات اليونانية أنه أقرب إلى القاف فأبدله إليه.

3 – الخطأ في السمع أو النطق: عندما يسمع العربي كلمة أعجمية أخطأ المتكلم في نطقها فإنه سوف يعربها بالصورة التي سمعها به وإن نطقت بشكل صحيح في لغتها لكن السامع قد أخطأ في سمعه أو في نطقه لها فإنها سوف تُعرَّب بشكل مختلف عما هي عليه في لغتها الأصلية – إن شاع النطق غير الصائب لها – . ولعل هذا العامل كان وراء تغيير العرب القدماء لأصوات حروف كلمة (كفجليز) الفارسية إلى (قفشليل)(19).

ومما يرجح ما قلناه أن الاختلاف بين الكلمتين قد حدث في ثلاثة حروف منها و لم يكن في أحدها حتى يمكن أن نجد له عاملاً آخر،كما أن طول الكلمة يساعد على وقوع الخطأ في النطق فيها أو في السمع. وقد فطن اللغويون إلى دور الخطأ في السمع أو النطق فقد قال أبو عمر الجرمي "ربما خلطت العرب في الأعجمي إذ نقلته إلى لغتها "(20).

4 – التطور اللغوي الذي حدث في إحدى اللغتين دون الأخرى قد يؤدي إلى عدم إطراد إبدال الأصوات فإذا أدت عوامل معينة إلى حدوث تغيير صوتي في الكلمة المعربة بعد دخولها العربية وبقيت في لغتها الأصلية من دون تغيير فيحدث من جراء ذلك اختلاف بين أصوات الكلمتين الأعجمية والمعربة. ويحدث الشيء نفسه لو حافظت اللغة العربية على صوت الكلمة المعربة وحدث التغيير في صوتها في لغتها الأصلية.

5 – اتساع زمن التعريب يؤدي أحيانا إلى حدوث تطور في الأصوات سواء أكان داخل اللغة العربية أم في اللغة الأعجمية، فقد عربت مفردات قبل تكوّن اللغة العربية المشتركة كما عربت أخرى في صدر الإسلام وعربت ثالثة في الوقت الحاضر، وإذا كانت هذه الكلمات حاوية على صوت أعجمي واحد أو أكثر فإن تعريبه في الأزمنة المختلفة قد يؤدي به إلى الاختلاف في النطق لأن هذه المدة الطويلة من الزمن كافية لحدوث التطور الصوتي في بعض الأصوات في كل لغات العالم وبخاصة إذا آزر ذلك عوامل خاصة باللغة أو بالأصوات.

6 – اختلاف المعرِّبين للألفاظ الأعجمية، فالعربي الذي عرّب مفردات فارسية هو غيره الذي عرّب مفردات يونانية مثلاً على أغلب الظن، وذلك لبعد المسافة بين مكان وجود اللغتين، كما أن احتكاك كل منها باللغات الأعجمية المجاورة له قد يؤدي إلى تطور نطق بعض الأصوات عنده. ولعل خير دليل على ذلك اختلاف نطق القبائل العربية القديمة لبعض الأصوات وما يشاهد من اختلافات في نطق الأصوات حاليا في الأقطار العربية المختلفة.

7 – عدم وجود أسس علمية محددة يراعيها المعرِّبون للألفاظ الأعجمية مما ترك المجال واسعا أمام الاجتهاد الشخصي (21) في ذلك وبخاصة إذا ما عرفنا أن التعريب قد حدث من زمن بعيد، وقبل بدايات الدرس اللغوي بكثير فضلاً عن وقت نضجه ورقيه.

يضاف إلى ذلك اختلاف المستوى الثقافي والعلمي للمعربين فقد عرّب العلماء قسماً من المفردات الأعجمية أمثال ألفاظ العلوم والحضارة ومصطلحاتها كما عرّب

الأميّون قسماً منها أيضا، فقد عرب بعض أرباب المهن المفردات الخاصة بعملهم وشتان بين منهج كل منها في عمله، فالعلماء يخضعون عملهم للأسس الصوتية الدقيقة في حين أن عمل الأمّي يخضع للانطباع ويحتمل الخطأ وعدم الدقة. كل ذلك يؤدي إلى اختلاف نطقهم للصوت الواحد عند تعريبه.

8 - إن المفردات الأعجمية التي عرّبت لم تكن كلها مأخوذة من اللغة الأعجمية مباشرة وإنما نقل قسم منها عن طريق لغة وسيطة كما حدث عند تعريب قسم من الألفاظ اليونانية فقد أخذت عن طريق اللغة السريانية، ولأدل على ذلك من تشابهها معها أكثر من شبهها باللغة اليونانية(22).

واللغة السريانية لاتختلف عن غيرها من اللغات في ادخال بعض التغيير على أصوات المفردات التي تنقلها إليها، وهذا يعني أن المفردات التي تُعرب عن طريقها قد حدث فيها التغيير مرتين مرة في اللغة الوسيطة وأخرى عند التعريب. ولاشك أن ذلك سوف يؤدي إلى اختلاف نطق الأصوات بين العربية واليونانية.

9 - لعل من أسباب اختلاف الأصوات المعربة عن الأعجمية أن العربي المعرِّب لها قد غيّرها عن قصد منه ووعي - وبخاصة إذا كان المعرِّب عالما - من أجل عدم الوقوع في اللبس اللغوي ودفعا عن الاشتباه بكلمة أخرى عربية. فقد غُيّر صوت كلمة (بادية) الفارسية التي تعني نوعاً من الأوعية إلى كلمة (باطية) لتحاشي اشتباهها مع كلمة (بادية) العربية التي تعني الصحراء(23).

10 - لعل للتصحيف أو التحريف دور في ما يلاحظ من اختلاف بين المعرَّب والأعجمي لأن الخلف قد تسلم أكثر الكلمات المعربة مكتوبة عن السلف وطبيعة النسخ، وتكراره من عدد كبير من النُسّاخ يُولّد عادة التصحيف أو التحريف. ومن الأمثلة على ذلك ما ظنه إبراهيم بن مراد من أن ابن الجزار قد غير حرف الدال في آخر الكلمة إلى لام (24) ولا أظنه على صواب في رأيه بل إن ما وجد من تغيير يعود إلى تحريف النسّاخ لاغير ومما يرجح ما قلناه كثرة وقوع التحريف بين الدال واللام إذا كان الحرفان في آخر الكلمة.

ثانيا : أثر العربية في بناء المعرب:

لم يقتصر التغيير الذي أحدثته العربية في الكلمة الأعجمية على الأصوات وإنما شمل البناء أيضا من أجل أن تتواءم المفردات المعربة مع العربية وتكون مألوفة ومستساغة عند التداول نطقاً وسماعاً.

وقد فطن اللغويون العرب القدماء إلى ما أحدثته العربية من تغيير في بناء اللفظ المعرّب فقد قال سيبويه "إن العرب لما أرادوا أن يعربوه ألحقوه ببناء كلامهم"(25).

وإن إلحاق اللفظ الأعجمي بالبناء العربي يستلزم أحياناً الحذف من الكلمة أو الزيادة عليها. وهذا ما أشار إليه سيبويه أيضا بقوله "وربما حذفوا كما يحذفون في الإضافة ويزيدون كما يزيدون فيما يبلغون به البناء وما لايبلغون به بناءهم "(26).

فالزيادة أو الحذف الذي يجريه العرب على اللفظ الأعجمي لاتجعله مضارعاً للبناء العربي دائماً، فقد تتحقق هذه المضارعة أولاً. ثم إن العرب لم يلتزموا بضرورة تغيير بناء اللفظ المعرب ليكون مناظراً للبناء العربي دائماً بل إنهم "ربما ألحقوه ببناء كلامهم وربما لم يلحقوه "(27).

وقد بين الجواليقي التغييرات التي يجريها العربي على

بناء الألفاظ الأعجمية ويكون "بإبدال حرف من حرف أو زيادة حرف أونقصان حرف أو إبدال حركة بحركة أو إسكان متحرك أو تحريك ساكن وربما تركوا الحرف على حاله لم يغيروه "(28).

وعلى ما تقدم نصل إلى أن العرب لم يلتزموا بقاعدة ثابتة تنظم عملية تغيير البناء في الأعجمي عند تعريبه وإنما لهم مواقف مختلفة إزاء المعربات نجملها بما يأتي:

أولا : إذا كان بناء الألفاظ الأعجمية موافقاً لأحد الأبنية العربية فلا يحدثون فيه أي تغيير عند التعريب غالباً لأنه يوافق ما ألفوه من ألفاظ . وإنّ أكثر المعربات على هذا النحو.

ثانيا : إذا كان اللفظ الأعجمي لا يشابه أحد الأوزان العربية فإنهم اتخذوا منه أحد الموقفين الآتيين:

ا - إدخالهم عليه واحد من التغيرات الآتية أو أكثر وألحقوه ببنائهم:

ا - حذف بعض حروف الكلمة من الأعجمية كما في (فيروزج) فقد حذفوا الحرف الأخير منها عند التعريب وأصبحت فيروز (29).ومثل ذلك ماعملوه في(كرد) فأصله(كردن) (30).

ب - إضافة حرف أو أكثر على الكلمة الأعجمية من ذلك كلمة (هليلة) فقد عربت إلى إهليلج (31) بزيادة الهمزة في بدايتها مع تغيير في أحد حروفها.ومثل ذلك زيادتهم الهاء في (قرمان) فقالوا (قهرمان)(32).

وقد أنكر الصغاني أن يكون العرب قد زادوا في حروف الكلمة وعلى ذلك فإنه خطّأ من عرّب كلمة أنموذج (32) وأصر على حذف الهمزة منها لأنها غير موجودة في لغتها الأصلية والعرب لايزيدون في البناء عند التعريب.

وهذا الرأي يخالفه أغلب اللغويون كما تكفي مقارنة سريعة بين الكلمات المعربة والأصل الذي اقترضت منه لمعرفة عدم دقة هذا الرأي. ونأخذ مثالاً على ذلك من الكلمات اليونانية فإن قسماً من كلماتها المبدوءة بساكن تزاد همزة عند تعريبها كما في أسطول وإسفنج وإسكيم وإقليم (34).

ج - حذف حرف أو أكثر من الكلمة من ذلك أنهم عربوا لفظة (غالغا) السريانية التي تعني الفقير إلى (فلج) (35) بعد أن حذفوا منها الألف من وسطها.

د - دمج كمتين في كلمة واحدة من ذلك تعريبهم مركب (سدلي) إلى السدير "وأصله سدلى أو ثلاث قباب بعضها في بعض"(36).ومن ذلك أيضاً كلمة سجيل فإنها معرب سفك وكل (37).

هـ- تغيير في تشكيل حركات اللفظ عن طريق تسكين متحرك أو تحريك ساكن أو تغيير حركة بأخرى كما فعلوا عند تعريب زور وآشوب (38).

وقد يشمل التغيير في البناء أكثر من نقطة مما سبق من ذلك عند تعريبهم كلمة (أرزرز) إلى (الرصاص) فقد حذف منها حرف الألف في أولها وغيرت حركة الراء إلى الفتح بعد أن كانت ساكنة (39). هذا غيرما أبدلوه من أصوات الكلمة الأخرى.

ثالثاً: إدخالهم إحدى التغييرات السابقة الذكر عليه أو أكثر لكنهم لم يلحقوه ببناء العربية من ذلك تغيير الفتحة في كلمة أبريشم - عند تعريبها - إلى كسرة

فصارت إبريسم(40). ومعلوم أن "مثل هذا الوزن مفقود في أبنية الأسماء العربية "(41).

رابعا: استعمال الكلمة المعربة في أكثر من بناء ولعل خير مثال على ذلك استعمالهم الكلمة التي تدل على الطائر المعروف بالشاهين ببناءات مختلفة وهي "السوذانق والسوذنيق والشوذق بالشين المعجمة.قال ووجد بخط الأصمعي شوذانق وقيل شوذنوق - وكلمة الشاهين وهو فارسي معرب - وسوذق أيضاً "(42).

خامسا: إبقاء الكلمة على بنائها الأعجمي من غير تغيير فيه وقد ذكر سيبويه هذا النوع من التعريب بقوله "إن العرب ربما غيروا الحرف الذي ليس من حروفهم و لم يغيروه عند بنائه في الفارسية نحو...آجُرّ وجُريز "(43).

وقال عنه الجواليقي أيضا "ومما تركوه على حاله فلم يغيروه خراسان وخرم وكركم"(44).

ويلاحظ على جهود العرب في تعريب البناء أنه لم يكن وفق منهج علمي ثابت أو قاعدة محددة يراعيها المعربون فتباينت جهودهم واختلفت تعريباتهم من حيث الدقة وعدمها. ونحاول أن نجد تعليلا معقولا يفسر لنا ذلك فيما يأتي:

1 - إن تقعيد قواعد علم الصرف بما فيها قواعد البناء والميزان الصرفي قد تم في القرن الثاني الهجري في حين أن عملية تعريب الألفاظ قد بدأت قبل هذا التاريخ بقرنين أو أكثر واستمرت حتى يومنا هذا أي أن كثيراً من المفردات المعربة لم تخضع لقواعد علم الصرف؛ لأنها لم توجد بعد. وبعد ما وجدت واستقر علم الصرف عليها لم يلتزم بعض المعرّبين بها إما لجهلهم بهذه القواعد أو للغفلة عنها أو لأي سبب آخر. وهذا ما يؤدي حتماً إلى عدم اتفاق المعرّبين المختلفين في عملهم. ولعل هذا ما يفسر لنا تعريب بعض المفردات على أكثر من بناء وتعريب الكلمات الأعجمية التي على بناء واحد إلى أبنية مختلفة.

2 - إن الذين عربوا المفردات يختلفون في مستوياتهم العلمية والثقافية واللغوية فمنهم الخواص المتضلعون باللغة ومنهم العوام الذين قد تفشى اللحن على ألسنتهم. وشتان بين عمل كل منهما. فعمل العالم يتسم بالدقة العلمية ويحاول عن قصد أو بدونه جعل ما يعربه من مفردات مشابهاً لبناء الكلمات العربية، لأن طبع الإنسان يميل إلى ما ألف وينفر عما استغرب .ولاشك أن العالم باللغة قد ألف طريقة العرب في البناء فيجعل ما يعربه من ألفاظ أعجمية موائماً لما ألف فتكون الألفاظ المعربة عن طريقه تشابه الأبنية العربية. في حين أن عمل العامي المعرب للألفاظ لايكون كذلك لجهله بطريقة العرب في البناء فما يعربه يخالف قسم منه على الأقل البناء العربي.

3 - لم يقتصر التعريب على شخص أو أشخاص معينين أو لجان علمية كما أن المعرِّبين لم يكن بينهم اتفاق مسبق بأن يراعوا في عملهم البناء العربي حتى عند العلماء منهم فضلاً عن العوام. ولعل خير دليل على ما ذكرناه قول الفراء بأن الاسم الفارسي يبنى "أي بناء كان إذا لم يخرج عن أبنية العرب"(45).

4 - الخطأ في النطق أو السمع قد يؤدي إلى الاختلاف في بناء الكلمة وقد فطن أبوعمر الجرمي إلى ذلك فقال "وإذا حكي لك في الأعجمية خلاف ما العلامة عليه؟ فلا ترينه تخليطاً فإن العرب تخلط فيه وتتكلم به مخلطا لأنه ليس من كلامهم فما اعتنقوه وتكلموا به خلطوا"(46).

والتخليط لايقتصر على الغلط في نقل الأصوات

وإنما يعم الغلط في صوغ البناء أيضا.

ثالثا: أثر العربية في دلالة المعرب:

تتصف دلالات الألفاظ بخاصة قبولها للتطور اللغوي أي أنها لاتبقى دائماً ملازمة للمعنى الذي كانت عليه في بدايات نشأة اللغة إن تهيأت لها عوامل لغوية معينة. ومنها دخول المفردة إلى لغة أجنبية تجعلها منقطعة عن أسرتها اللغوية وهذا ما ييسر عملية حدوث التطور فيها.

والتطور الدلالي يتخذ مظاهر مختلفة فإما أن يكون من الشدة بحيث يؤدي إلى أن تترك المفردة معناها السابق وتنقطع الصلة بينها وبينه وتكتسب معنى جديداً لاتُعرف إلا به غالباً وإما ألا يصل التطور إلى هذه الدرجة فيكون المعنى الجديد له علاقة بالسابق لكنه أخص منه أو أعم.

واللغة العربية قد أثرت في دلالة المفردات المعربة عن طريق تخصيص دلالتها أو تعميمها أو تغيير مجال استعمالها، وكما يأتي:

1 – **تخصيص الدلالة**: يقصد بهذا النوع من التطور ما يلحق بالكلمة من تغيير يُقلص فيه المعنى ويقلل من اتساعه. وقد خصصت اللغة العربية بعض المفردات المعربة من ذلك كلمة (كنده) الفارسية التي تعني المحفور المخدود، والكهف في الصحراء (47) قد تخصص معناها بعد تعريبها إلى "الحفير حول أسوار المدن "(48) من أجل الدفاع عنها.

ومن ذلك أيضاً كلمة الفردوس فهي في اللغة اليونانية تدل على البستان سواء أكان محاطاً بالسور أو الكرم وقد تقلص معناها بعد التعريب إلى الجنة(49)، وبخاصة بعد استعمالها في هذا المعنى بالقرآن الكريم. قال تعالى ؛ الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون؛(50).

2 – **تعميم الدلالة**: ويقصد به ما يلحق معنى الكلمة من تطور يوسعه ويزيد في شموله. وقد حدث ذلك في عدد من الألفاظ المعربة، ومنها كلمة الزخرف فقد كانت تدل في اللغة اليونانية على التزيين برسم الحيوانات، وهي مركب لغوي من كلمتين (زو) أي الحيوانات و(جرافيا) أي يكتب أو يرسم ، وبعد أن دخلت إلى العربية صارت تدل على عدة معان(51) منها التزيين بأي شيء أو شكل ولايقتصر على التزيين بالحيوان(52).

ومن الألفاظ التي تعمّم معناها بعد تعريبها (التاجر) فإن معناها في الآرامية بائع الخمر خاصة(53) وتوسع معناها بعد دخولها إلى العربية إلى كل بائع السلع والحاجات خمراً كان أم غيرها(54).

3 – **تغيير مجال الاستعمال** : ويقصد به تطور دلالة الكلمة إلى معنى يختلف تماماً عما كانت عليه. وقد فطن الخفاجي إلى التبدل الذي طرأ على دلالة بعض المفردات بعد التعريب بقوله "وقد يعرب لفظ لم يستعمل في معنى آخر غير ما كان موضوعاً له كحرم اسم نبت يشبه بد الشيب وهو سراج القطرب واستعماله بهذا المعنى مخصوص بالعربية "(55).

ومما تغيرت دلالته بعد تعريبه كلمة "برزخ التي تدل في الفارسية على البكاء والنحيب فتغيرت دلالتها بعد التعريب إلى كل حاجز بين الشيئين وما بين الدنيا والآخرة" (56).

الهوامش

1) الكتاب لسيبويه 303/4.

2) الكتاب لسيبويه 304/4.

3) الكتاب لسيبويه 304/4.

4) الكتاب لسيبويه 305/4.

5) المعرب للجواليقي ص 54.

6) شفاء الغليل للخفاجي ص 25.

7) المعرب للجواليقي ص 54-55 وانظر شفاء الغليل للخفاجي ص 25.

8) انظر المعرب للجواليقي ص 55.

9) المزهر للسيوطي 272/1.

10) المزهر للسيوطي 274/1.

11) غرائب اللغة لرفائيل نخلة ص 25-251.

12) المزهر للسيوطي 274/1.

13) معجم الدخيل في العربية لطه باقر ص 59.

14) المعرب الصوتي عند العلماء المغاربة لإبراهيم بن مراد ص 118.

15) انظر الكتاب لسيبويه 305/4 والمعرب للجواليقي ص 54 وشفاء الغليل للخفاجي ص 25.

16) المعرب للجواليقي ص 54.

17) نظرات في اللغة للدكتور محمد مصطفى رضوان ص 222.

18) أثر الدخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج للدكتور مسعود بوبو ص192.

19) انظر المعرب للجواليقي ص 56.

20) المعرب للجواليقي ص 56.

21) أثر الدخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج للدكتور مسعود بوبو ص 196.

22) انظر غرائب اللغة العربية لرفائيل نخلة ص 250.

23) انظر الدخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج ص 196.

24) انظر المعرب الصوتي عند العلماء المغاربة ص 119.

25) الكتاب لسيبويه 304/4.

26) المصدر السابق 304/4.

27) المصدر السابق 304/4.

28) المعرب للجواليقي ص 54.

29) انظر المعرب للجواليقي ص 56.

30) انظر في التعريب والمعرب ص 23.

31) انظر شفاء الغليل للخفاجي ص 40.

32) انظر في التعريب والمعرب ص 23.

33) انظر شفاء الغليل للخفاجي ص 40.

34) انظر غرائب اللغة لرفائيل نخلة ص 250.

35) انظر المزهر للسيوطي 287/1.

36) المزهر للسيوطي 280/1.

37) انظر شفاء الغليل للخفاجي ص 31.

38) انظر المعرب للجواليقي ص 56.

39) انظر المزهر للسيوطي 282/1.

40) انظر المعرب للجواليقي ص 56 والمزهر للسيوطي 270/1.

41) المزهر للسيوطي 270/1.

42) المزهر للسيوطي 287/1.

43) الكتاب لسيبويه 304/4.

44) المعرب للجواليقي ص 56 وانظر شفاء الغليل ص 30.

45) المعرب للجواليقي ص 57.

46) المصدر السابق ص 57.

47) انظر تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية لطوبيا العنيسي ص 25 وأثر الدخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج ص 347.

48) القاموس المحيط لفيروز آبادي (خندق) 237/3 وانظر الألفاظ الفارسية المعربة لأدى شير ص 57.

49) انظر أثر الدخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج ص 347.

50) سورة الكهف آية 107.

51) انظر معاني كلمة زخرف في القاموس المحيط (زخرف) 152/3.

52) انظر أثر الدخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج ص 339.

53) غرائب اللغة العربية لرفائيل نخلة ص 175.

54) انظر أثر الدخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج ص 243.

55) شفاء الغليل للخفاجي ص 23.

56) أثر الدخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج ص 300.

مصادر البحث ومراجعه

1 - **أثر الدخيل على العربية في عصر الاحتجاج** للدكتور مسعود بوبو، دمشق سنة 1982م.

2 -**أحكام تجويد القرآن الكريم في ضوء علم الأصوات الحديث** للدكتور عبد الله عبد الحميد سويد،ط 2 ليبيا،بلا تاريخ.

3 - **الألفاظ الفارسية المعربة** لأدى شير، بيروت سنة 1908.

4 - **تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية مع ذكر أصلها بحروفه** لطوبيا العنيسي، القاهرة سنة 1965م.

5 - **شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل** لشهاب الدين أحمد الخفاجي، نشره محمد عبد المنعم خفاجي، ط1 القاهرة سنة 1952م.

6 - **غرائب اللغة العربية** لرفائيل نخلة اليسوعي، ط 2 بيروت سنة 1959م.

7 - **في التعريب والمعرب** لابن برّي،تحقيق د/إبراهيم السامرائي،ط1 بيروت سنة 1985م.

8 - **القاموس المحيط** لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي، ط 2 سنة 1952م.

9 - قرار مجمع اللغة العربية الأردني المنشور في **مجلة المجمع**، العدد 40 لسنة 1991م.

10 - **الكتاب لسيبويه**، تحقيق محمد عبد السلام هارون، القاهرة سنة 1963م.

11 - **المزهر في علوم اللغة وأنواعها** لجلال الدين السيوطي، تحقيق لجنة من الأساتذة، القاهرة سنة 1960.

12 - **المصطلحات الفنية** للدكتور صادق الهلال،ي بحث نشر في **مجلة اللسان العربي**، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، العدد 27 لسنة 1986.

13 - **المصطلح العلمي العربي قديماً وحديثاً** للدكتور مناف مهدي محمد، بحث نشر في **مجلة اللسان العربي** ، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، العدد 30 لسنة 1988.

14 - **المعرب الصوتي عند العلماء المغاربة** لإبراهيم بن مراد، تونس سنة 1978.

15 - **معجم الدخيل في اللغة** لطه باقر، بيروت . بلاتاريخ.

16 - **المعرب من الكلام الأعجمي** لأبي منصور الجواليقي،تحقيق أحمد محمد شاكر. القاهرة سنة 1969م.

17 - **نظرات في اللغة** للدكتور محمد مصطفى رضوان، ط 1 ليبيا 1976.